جامعة تكريت

كلية التربية للعلوم الانسانية

قسم التاريخ

دكتوراه اسلامي

المجابهة الاسلامية للحروب الصليبية

(اوضاع اوربا قبل الغزو الصليبي)

أ.د. حنان عبد الرحمن طه

أولا : اوضاع اوربا قبل الغزو الصليبي

ان الحديث عن اوضاع أوربا قبيل قيام الحروب الصليبية يقود بالضرورة إلى تسليط الضوء على بنية المجتمع الأوربي أنداك وهو مؤلف من ثلاث طبقات :

١- الطبقة الأولى رجال الدين وهي المتحكمة

٢- الطبقة الثانية وهي طبقة الفرسان ويتكون من الأمراء والملوك وهي الطبقة السياسية .

٣- الطبقة الثالثة الطبقة العامة والعبيد وما يعرف بالأقنان ، هذه الطبقة الثالثة ترتبط ارتباطا وثيقا بالأرض، وهو ما يعرف بالإقطاع فالمجتمع الأوربي مجتمع اقطاعي.

الأمر الذي يقودنا بالضرورة إلى الجذور التاريخية لنشأة الاقطاع ويعود ذلك إلى عهد شارلمان الامبراطور الكارولنجي ربما يطرح سؤالا هل يعني ان نظام الاقطاع نشأ في ظل السلطة المركزية ؟ والمتعارف علية ان الاقطاع هو وليد السلطة اللامركزية ، للإجابة على ذلك يمكن القول ان السلطة المركزية كانت بصورة أو أخرى هي السبب في ظهور الإقطاعي في القرن الثامن الميلادي . في البدء شكل شارلمان دولته في فرنسا ثم بدأ يتوسع في معظم القارة الأوربية كإسبانيا والمانيا وايطاليا هذه الامبراطورية كانت تحتاج إلى جيوش حرارة التوكيد حكمه وتحتاج إلى الأموال وكان تأمين تلك الأموال يأتي من الغنائم من جراء تلك الفتوحات والتي كانت تعطى كنفقات لادارة الدولة بمؤسساتها الادارية والعسكرية حيث كانت تصرف الرواتب لكبار القادة والمقاتلين من تلك الظالم الا انه حدثت أزمة مالية في تغطية تلك النفقات نتيجة لتوقف الفتوحات .

مما اضطر شارلمان إلى حل تلك الأزمة بمنح كبار القادة الأمراء الأراضي بحسب مكانة كل منه كتعويض عن الرواتب مقابل ان يقدم هؤلاء مبلغ مالي الخزينة الدولة تعبيرا عن ذلك كان بيني شارلمان في كل مقاطعة كنيسة الإدارة الشؤون الاجتماعية والدينية ولهم دور كبير في ادارة السياسية من خلال تقديم الشورة للأمراء والملوك فيما بعد . الحار الامبراطورية الكارولنجية بموت شارلمان بدأت الاقطار تحلق بالإمبراطورية من خلال هجمات الفايكنج والسلمون و القبائل المجربة الوثنية . هذا الأمر دفع بالأمراء والقادة الاستقلال بأقطاعاتهم والتحكم بها من خلال فرض الكثير من الأعباء على سكان تلك المقاطعات من خلال

زيادة الضرائب والعمل القري والخدمة في الجيش الاقطاعي دون مقابل حمايتهم وبذلك تشكلت جيوش من الاقطاعيات كانت تقابل فيما بينها وكان السيد الاقطاعي هو المتحكم بكل خصوصيات رعاياه .

أما كيف برز دور الكنيسة في أوربا يمكن القول ان سياسة شارلمان الدينية في نشر للمسيحية و المذهب الكاثوليكية جعلته حاميا للكنيسة مقابل ذلك فتح شارلمان الكنيسة ورجالاته الكثير من الامتيازات فانتشر الكنائس في مختلف انحاء أوربا الغربية وكان تغدق عليها الأموال والمنح والاراضي فضلا عن الأموال التي يقدمها للملوك والامراء إلى الكنية كرمز للولاء للكنيسة وبذلك تحولات الكنيسة إلى أكبر مؤسسة القطاعية في أوربا فكانت تمتلك الأراضي والمزارع والمصانع ، فضلا عن ذلك كان الكنيسة تستغل المناسبات في تعزيز سلطتها من خلال بعض كبار رجالاتها منهم جيلاسيوس الذي كان يقول العالم تحكمه قوتان مادية ويعني (الأمراء والملوك) وقوة روحية وهي الدين المسيحي وان القوة الروحية هي الأقوى ومما عزز مكانة الكنيسة في أوربا الما كانت الملاذ وكانت أوربا أثناء المحن والأزمات والحروب والأوشة والأمراض من خلال مد يد العون لهم فكانت تتدخل في الخصومات التي تحدث بين الملوك و الأمراء والمساعدة على عقد المدن والمساعدات وأمنا عامة الساسي كان المأوى قسم اثناء المجاعات وسذلك اصبحت الكنيسة الحاكمة والمتحكمة في أورينا على رقاب سياسين حمل وصل الأمر الله بامكانها اسقاط الملوك والأمراء من خلال الحرمان بحقهم وهو ما حدث (١٠٦٩م) حينما أصدر البابا جريجوري السابع حرمان بحق هنري الرابع الامبراطور الألماني بحيث تخلى عنه قادته ورعاياه الأمر الذي جعل هنري الرابع التوجه من المانيا الى ايطاليا حافي القدمين بل وصل الاذلال الى الوقوف أمام الكنيسة المدة ثلاثة ايام حتى سمح له البابا حيث ذلك ارتحى على قدمي البايا راكعا وتقبيلا يديه حتى عفا عنه واعاد إلى ملكه علما انه كان اقوى ملوك اوربا على الاطلاق لذا كان بإمكان البابا حرمان أي ملك في اوربا والادهى من ذلك ان الامبراطور البيزنطي الأكس كومنين استجد البابا جريجوري السابع بعد تفاقم الخطر السلجوقي .

ثانيا : أوضاع العالم الإسلامي قبل الغزو الصليبي

شهدت المنطقة العربية انقساماً سياسيا واضحاً، وتفشي حالة الفرقة والنزاع بين الكيانات السياسية التي كانت قائمة أنداك ومن مظاهر ذلك وجود خلافة عباسية في بغداد وخلافة فاطمية في مصر وسلطنة سلجوقيه في بلاد فارس وقوى محلية أخرى وكانت الخلافة العباسية تعاني من الضعف والوهن وقدراتها السياسية والعسكرية محدودة فهي كانت خاضعة لسيطرة البويهين ومن ثم خضعت السيطرة الملاحقة بعد

قضاء اللاحقة على البويهيين وضعفت الخلافة العباسية بشكل أكبر بعد انتهاء عهد السلاطين الاقوياء طفر ليك والب ارسلان و ملكشاه .

كما اتسم النصف الثاني من القرن الخامس الهجري بالصراع السياسي والعسكري والمذهبي بين الخلافيتين العباسية والفاطمية فيرز تحدد أي الحارث الباسوري لدار الخلافة في بغداد ودعوته للخليفة الفاطمي المستنصر بالله على منابر بغداد وزمعة الاذان يحي على خير العمل وذلك كان سنة (٤٥٠هـ / ١٠٥٨م) الأمر الذي عجل دخول السلاجقة لبغداد حيث استعان الخليفة بالسلاجقة الذي تمكنوا من القضاء على حركة الباسيري سنة (٤٥١ هـ / ١٠٥٩م) وهذا يسر لهم السيطرة على الخلافة العباسية تضعفت واصبح الخليفة مجرداً من صلاحياته اما مصر فقد كانت تسيطر عليها الدولة الفاطمية العبيدية حيث سيطرت على مصر سنة(٣٥٨هـ / ٩٦٨م) وظلت مسيطرة عليها قرابة قرنين من الزمن حاول الفاطيمون السيطرة على ممتلكات الخلافة العباسية فوسعوا نفوذهم على اجزاء كبيرة في الشام منذ عام (٣٥٩هـ / ٩٦٩م) الا انهم واجهوا ظروفاً سياسية داخلية وخارجية ساهمت في اضعاف دولتهم وتقليص قدرتها على مواجهة التحديات العديدة ومنها الفتنة التي وقعت بين الأتراك والعبيد تتنج عنها الحزام العبيد وتزايد قوة الاتراك وتطاولهم على الخليفة المستنصر بالله فعمدوا إلى معاصرته واخذ جميع امواله سنة (٤٦٠ هـ١٠٦٨م) بالإضافة الى مجاعات التي حدثت بين (٤٥٧-٤٦٣هـ) والتي كان لها أثار سلبية على المجتمع اذ ادت الى احداث اضطرابات وفتن داخلية ادت الى اضعاف الفاطميين كما ان تسلم الافضل بن بدر الجمالي والسياسية التي اتبعها بأخذ ولاية العهد لابن الخليفة المستنصر الصغير ولقبه بالمستعلي وابعاد اخيه الأكبر نزار ادى الى ظهور جماعة عرفت بالنزاريه وهم المبايعين النزارين المستنصر وهذا بدورة ادى الى حدوث انقسامات هذه الانقسامات في الدولة الفاطمية ادت الى اضعافها وبالتالي عدم قدرتها على مواجهة التحديات الخارجية اذا اخذنا بنظر الاعتبار ان الخلفاء الفاطميين في هذه الفترة كانوا صغار السن مما ممكن الوزراء من الاستبداد بالحكم بالنسبة لبلاد الشام فأنها كانت تضم قوى سياسية كل منها تسعى للاستقلال بعيداً عن نفوذ الخلافة العباسية او الفاطميين في مصر ومنهم بنو مرداس وال الجراح والحمدانيين والكلابيين اضافة الى النزاع بين هذه القوى والفاطميين . .

قسيم الفاطميون العديد من الحملات للقضاء على بني مرداس وغيرهم وفي خضم هذا الصراع بين الفاطميين وبيني مرداس وبيني الجراح قدم السلاجقة إلى بلاد الشام واشتركوا في الصراع القائم وبدأ السلاجقة

يسيطرون على بلاد الشام وتوسعوا في آسيا الصغرى وحققوا انتصاراً عظيماً في معركة ملاذ كرد في عهد السلطان الب ارسلان ضد البيزنطيين سنة (٤٦٣هـ/ ١٠٧١م) .

تتالت الحملات التي ارسلها السلاجقة إلى الشام وكان ابرز هذه الحملات حملة الأمير اتز الخوارزمي سنة (٤٦٥ هـ / ١٠٧٣م) والتي تمكن خلالها من فتح الرملة وبيت المقدس وحاضر دمشق إلى ان دخلها سنة (٤٦٨هـ / ١٠٧٦م)، واقام الخطبة فيها للخليفة العباسي المقتدي بالله ظلت بلاد الشام معترك بين الملاحقة والفاطميين للسيطرة عليها حتى دخول الفرنج حيث شهدت الشام عدة حملات فاطمية ساهمت في اضطراب اوضاعها السياسية مما دعا الأمير الي الاستنجاد نتاج الدولة تنتش الذي دخل دمشق سنة (٤٧١ هـ / ١٠٧٩م)، وأسس دولة السلاجقة الشام اسهمت محاولات تتش التوسعية في جلب عام (٤٧٠ هـ) و (٤٧١ هـ) النساء وقوعها تحت حكم بني مرداس في تردي الأوضاع السياسية في الشام ومما زاد في تعقيد الوضع السياسي استقلال المرداسيون ومن بعدهم العقيليون في حلب وبنو عمار في طرابلس فسيطرة العقيليين على حلب ساهم في توسع دائرة الصراع على ارض الشام قبل الغزو الفرنجي فتوجهت انظار شرف الدولة العقيلي الى دمشق سنة (٤٧٥هـ / ١٠٨٣م) حتى انه تحالف مع الفاطميين ضد تنش لتحقيق هدفه .

اضافة الى الصراع بين السلاجقة انفسهم فتمثل ذلك بالصراع بين تاج الدولة تنش صاحب دمشق وسليمان بن قتلمش صاحب حلب انتهى هذا الصراع بقتل سليمان بن قتلمش سنة (٤٧٩هـ) (١٠٨٧م) وسيطرة تتش على حلب كما ان الصراع بين السلاجقة والفاطميين لا يزال مستمراً وخاصة بعد محاولات الفاطميين المستمرة لانتزاع مدن الشام منهم مستغلين انشغال الملاحقة بصراعاتهم الداخلية فأغاروا على دمشق وسيطروا على صور سنة (٤٨٢هـ / (١٠٩٠م) واخضعوا صيدا وعكا وبعد وفاة تاج الدولة تنش عاد الصراع في الشام ولكن هذه المرة بين لدية رضوان صاحب حلب ودقاق صاحب دمشق مكان كل منها يحاول السيطرة على ممتلكات الآخر وتطور الصراع بينهما إلى قيام رضوان بالتقدم صوب دمشق عام (٤٨٨ / ١٠٩٦م) ومحاصرته لها دون تمكنه منها قام رضوان بمراسلة الخليفة الفاطمي المستعلي بالله عام (٤٩٠هـ / ١٠٩٨م) الإقامة الخطبة له بالشام مقابل مساعدته لأخذ دمشق من اخية دقاق وكان لصراعها دور واضح في اضعافهما عن التصدي للفرنج حينما داهموا الشام. .